العوامل التي ساعدت على سقوط الخلافة الأموية

قامت الدولة العباسية بعد القضاء على الخلافة الأموية التي ساعدت على اضعافها ومن ثم سقوطها عوامل عديدة رئيسية نجملها بالاتي:

1-نظام ولاية العهد:

ويعتبر هذا النظام من العوامل الرئيسية التي ساعدت على ضعف الدولة الأموية بالرغم من أنه ظهر بوقت مبكر من قيام الدولة الاموية، حيث ان معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ)، أول خلفاء بني أمية هو الذي أوجد هذا النظام بمشورة واليه على العراق المغيرة بن شعبة (ت:)، الذي أراد التقرب لمعاوية بن أبي سفيان الذي كان يخطط لإيصال ولده يزيد إلى سدة الحكم، ومع أن هذا النظام ظهر منذ أيام خلافة معاوية الا أنه عدو واحداً من العوامل المهمة التي ساعدت على سقوط الخلافة الاموية وسبب ذلك يعود لارتباط عوامل اخرى بهذا النظام، وقد أدى هذا النظام مع تحقيق الهدف الذي انشأ من أجله من خلال تولي يزيد الخلافة وانحسارها بأفراد البيت الاموي بالنوعين السفياني والمرواني الا انه ساهم بإيجاد روح التنافس الاسري بالنسبة للبيت الحاكم لغرض الوصول إلى كرسي الحكم الامر الذي انهك الدولة الاموية، وكان ذلك الصراع قد أسهم بحق في اضعافها ومن ثم سقوطها ومثال على ذلك الصراع الذي دار بين عمرو بن سعيد الاشدق وعبد الملك بن مروان حول ولاية العهد سنة 65هـ كذلك الصراع الذي حدث بين الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ /)، وأخيه سليمان (96-99هـ/) عندما حاول الاول عزل الثاني عن ولاية العهد من أجل اخلاء الساحة السياسية لولده وبتشجيع من قادة وامراء الدولة الاموية، كذلك الصراع الذي دار بين الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وقد دخل بذلك الصراع سليمان بن هشام بن عبد الملك واستمرا قرابة السنتين من الزمان 125-127هـ/ وقد انعكس هذا الصراع سلباً على الاوضاع الداخلية وأصبح عاملاً مساعداً لظهور عامل آخر قد ارتبط به مباشرة وهو التعصب القبلي.

2-العصبية القبلية:

أثر موضوع العصبية القبلية بين اليمانية من جهة والقيسية (المضرية) من جهة أخرى تأثيراً كبيراً على الحراك القبلي الداخلي في الدولة الاموية ولم يقتصر ذلك على مكان دون غيره من المناطق التابعة للدولة الاموية من اقصى شرقها حتى اقصى الغرب وصولاً لأبعد منطقة في الأندلس خضعت للحكم الاموي، ولعل العامل الاول الممثل بولاية العهد قد أوجد التعصب القبلي والولاء للحكم الاموي، ومع وجود تنافرات قبلية بوقت مبكر من عمر الخلافة الاموية إلا أن هذا العامل برز واضحاً أيام خلافة الوليد بن عبد الملك عند محاولته عزل أخيه وولي عهده سليمان وكان ذلك بتشجيع من زعماء وقادة اليمانية الذين تزلفوا للوليد بعد أن عرفوا بنواياه سلفاً فكان من وراء تشجيعهم له بعزل أخيه عاملين مهمين الأول يتمثل بالتقرب للخليفة والعمل على تأييده لإنجاح مشروعه بإيصال ابنه لكرسي الخلافة، أما الثاني فهو لتحقيق مصالحهم السياسية والادارية المتمثلة بالحفاظ على ما تمكنوا من الحصول عليه من امتيازات على حساب العصبية الاخرى كالمناصب الادارية والعسكرية، إذ أنهم يعون جيداً بان انتقال الخلافة لسليمان سيؤدي إلى فقدان الكثير من الامتيازات التي يتمتعون بها، إلا أن هذه المحاولة فشلت بعد اصرار سليمان بن عبد الملك وبالرغم من الضغوط التي تعرض لها – بالاحتفاظ بولاية العهد، حيث أنه لا يمكن عزله الا بإعلان تبرئة ذمة الذين بايعوه كولياً للعهد وهذا الاعلان يكون امام الملأ ويعد براه مبرراً للتنازل عن ولاية العهد، وهذا الأمر لم يكن سليمان ليتخلى عنه بسهولة وقد اضفى غيضه وحقده على زعماء اليمانية الذين ايدوا أخاه على عزله، لذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفي (ت:95هـ/) يتمنى ان يموت قبل ان يدرك حكم سليمان لأنه يعرف ما ستؤول الامور اليه اذا ما تسلم الحكم وبالفعل كانت وفاته قبل تسلم سليمان للخلافة بعام، والذي بدوره عندما اعتلى كرسي الحكم انتصر للقيسية (المضرية) وعمل على تصفية حسابه مع امراء أخيه من اليمانية كقتيبة بن مسلم الباهلي، وحميد بن القاسم الثقفي قادة فتوح المشرق، وموسى بن نضير والي افريقية والاندلس اذ قتلهم شر قتلة، وقد ساعدت العصبية القبلية على شحن عامل ثالث من عوامل ضعف وسقوط الدولة الأموية ألا وهو الثورات الداخلية.

3-حركات المعارضة:

كـان للحركـات المعارضـة الـدور البـالغ فـي انهـاك الدولـة الاموية سياسـياً واقتصادياً، اذ أن هذا العامل ولد مع قيام الدولة الاموية سيما المعارضة العلوية التي كانـت مـن أشـد أنـواع المعارضـة، مثـورة الامـام الحسـين (عليه السلام) ضـد الدولـة الأمويـة والواقع الفاسد فيها، وثورة التوابين التي تزعمها سليمان بن صرد الخزاعي، وثورة زيد بن علي بن الحسين في الكوفة سنة 121هـ، كما ان لمعارضة الخوارج والتي من أشدها حركات الخوارج الازارقة والثورات في الجزيرة الفراتية والكوفة والبصرة الأثر الواضح في انهاك الدولة الأموية وهذين الخطين المعارضين كلاهما كان موجوداً أيام الراشدين ولكل واحد منهما اسباب للظهور على الساحة السياسية الداخلية، الا ان هذا لا يعني عدم وجود حركات معارضة أخرى مثيل الزبيريين الذين ظهروا في الحجاز واعلنوا خلافتهم التي دارت مدة من الزمن، وبويع لها بأماكن عديدة، كما ان دولة المختار الثقفي في الكوفة مع ان توجهها علوياً الا انها اسهمت بزعزعة سلطان بني أمية، كذلك كان للحركات التمردية ضد الامويين كحركة عبد الرحمن الاشعث في الكوفة وحركة عبد الله بن الجارود في البصرة مساهمة فاعلة في اشعال حرب داخلية نجحت الدولة الاموية اخيراً بالقضاء عليهما، ساعدت هذه الحركات على تفويض سلطان الامويين ونخره داخلياً ناهيك عن الضغوطات الخارجية المتمثلة بالإمبراطورية البيزنطية والتي لم تتوان في استغلال أي ظرف داخلي مرتبك للدولة الاموية لتسارع الاولى في التدخل على حساب الحدود الشمالية سيما بلاد الشام ومناطقه الداخلية، وقد اسهم ذلك في تنازل الدولة الاموية للبيزنطيين عن طريق الاموال أو عقد التحالفات والمعاهدات.

العوامل السابقة مارة الذكر اسهمت بشكل واضح في ظهور العامل الذي أجهز تماماً على الدولة الاموية وطوى صفحتها السياسية، والمتمثل بالدعوة العباسية.

4-الدعوة العباسية:

كان لنظام ولاية العهد الذي وضحناه بشكل مختصر جداً الأثر الواضح في ايجاد صراع بين امراء البيت الاموي من أجل الوصول إلى السلطة مشحوناً بدور

نساء الخلفاء اللواتي كن يدبرن الدسائس من أجل وصول اولادهن إلى كرسي الحكم، هذا الصراع الذي دار ولو بشكل غير معلن صراحة في الفترات الاولى الا انه انكشف فيما بعد وأبح واضحاً كصراع دائر على الارض ادى إلى ظهور التعصب القبلي الذي شق عصى المادة الاساسية لعماد الدولة المتمثل بالقبائل (اليمانية+ القيسية).

طبيعة الظروف أملت على الخلفاء الامويين واولياء العهد من بعدهم بتبني احدى العصبيتين ضد الاخرى، إلى درجة التنكيل والاقصاء السياسي، وعندما يرتقي ولي العهد كرسي الدولة فانه ينتصر للعصبية الاخرى التي ايدته تلقائياً باعتباره ضد الخليفة السابق ليعمل على قتل المعارضين له وتعيين امراء وولاة من العصبية التي تبناها، وهكذا ظهر عامل الثأر وبقوة بين العصبيتين إلى الدرجة التي ليس من السهل السيطرة عليها وعم الاختلاف كل ارجاء الدولة وكل مفاصلها، كما ان سرعة تبدل الولاء بالنسبة للدولة سيما السنوات الاخيرة منها ساعد أيضاً بإيجاد فراغ سياسي كبير غذته اكثر الحركات المعارضة للدولة الاموية التي استنزفت الدولة اقتصادياً وعسكرياً، كما ان كثرة الاضطرابات متعددة الاتجاهات ولدت نفوراً وصداً من قبل عامة الشعب الذي مارست بحقه السلطة ممارسات سياسية عن طريق الاستنفار العسكري الدائم، واقتصادية عن طريق استنزافه مادياً بكثرة الضرائب التي فرضت على كل طبقات المجتمع من العرب والمسلمين وغيرهم، وفي مثل هكذا ظروف معيشية صعبة أصبح الكثير من الناس ينتظرون اقرب فرصة تمكنهم من الخلاص من حكم الامويين علها تكون سبباً برفع الظلم والحيف عنهم.

استغل العباسيون هذه الظروف وعملوا على تأسيس تنظيم سري اختير له مقراً لإدارته في منطقة الحميمة، كما اختير له ساحة ومكان للدعاية في بادئ الامر في الكوفة ثم فيما بعد اتفق ان تكون خراسان ساحة للممارسة الدعاية السرية لأسباب عديدة سنوردها لاحقاً، وقد نجحت الدعوة العباسية وان استغرق ذلك النجاح مدة طويلة من الزمان الا أنه تمكن في نهاية المطاف من تحقيق الاهداف واسقاط الخلافة الاموية وبمساعدة العوامل التي مر ذكرها.

التنظيم العباسي:

سميت الخلافة العباسية بهذا الاسم نسبة إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي الأكرم (ﷺ)، ووردت روايات عديدة مختلفة منها ما ذكرت بأن العباس كان موجوداً ببيعة العقبة الاولى والثانية، ووجوده في هتين البيعتين (ان صحت هذه الرواية) يعني اما ان يكون وجوده خوفاً على النبي الأكرم (ﷺ) من أذى المشركين، واما ان يكون قد اعتنق الاسلام، الا ان الرأي الثاني نفي من خلال تأكيد المؤرخون بأن اسلامه جاء متأخراً، حيث اعتنق الاسلام بعام الفتح في السنة التاسعة للهجرة، كما ان هناك ما يؤيد عدم اسلامه خلال مدة بيعتا العقبة الاولى والثانية لأنه كان احد المشاركين بمعركة بدر 2هـ، مع جيش المشركين بل وكان احد اسرى بدر، وقد فدى نفسه بمبلغ من المال باعتباره من اغنياء قريش ولو كان مسلماً وقد صحب جيش المشركين باعتبار ان له اموالاً في تلك القافلة وخاف عليها، الا ان ذلك يتقاطع مع الاسلام واخذ الفداء منه من قبل النبي الأكرم (ﷺ).

وبعد وفاة النبي (ﷺ) قال للإمام علي (عليه السلام) : " **يا ابن أخي ابسط يدك ابايعك**"، اعترافاً منه بأن الامام علي (عليه السلام) وصي رسول الله (ﷺ)، سيما بعد ان علم بخروج الأمر من الامام علي (عليه السلام)، وبقي العباس بن عبد المطلب حياً حتى عهد الخليفة عثمان بن عفان (21-35هـ)، وكانت وفاته في سنة 34هـ، وكان له ابناء عديدين لعل ابرزهم هو عبدالله بن عباس ثاني اولاده والذي تدرج من نسله خلفاء بني العباس، وكان عبدالله بن عباس يتمتع بعلم وفير، وكان محدثاً وفقيهاً، ولي البصرة للإمام علي (عليه السلام) وبقي عليها حتى قيام الدولة الاموية ليرجع إلى الحجاز واقام بمدينة الطائف وانقطع عن السياسة حتى وفاته سنة 68هـ، في ايام خلافة عبد الملك بن مروان 65-86هـ، وقد عقب ولداً اسمه علي ولم يكن بارزاً كما هو والده، وقد استدعي علي بن عبدالله من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان واقطعه قرية في البلقاء اسمها الحميمة شرق الاردن، وبقي فيها وكانت له طموحات سياسية، الا ان ولده حميد كان له الدور الاكثر من والده وكان ذو شخصية قوية حيث طغت قوة تأثيره على شخصية ابيه مع استمرار والده بالحياة حتى سنة 118هـ، الا انه قبل

هداه بمدة طويلة ظهر اسم محمد بن علي العباسي، ذلك عندما بعثه والده إلى باب الخليفة الوليد ليتلقى العلوم هناك، فالتقى بابي هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية والذي فرض عليه العيش بدمشق من قبل الخليفة الوليد ليكون تحت انظار الخلافة خوفاً منه ان يثير المشاكل ضد الدولة الاموية، ومع ان موقف علي بن عبدالله العباسي من أبي هاشم كان سلبياً الا ان ولده محمد كانت علاقته بابي هاشم حسنة وجيدة.

-أبو هاشم:

هو عبدالله بن محمد (ابن الحنفية) بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كنيته التي اشتهر بها (أبو هاشم)، هاشمي علوي مدني[1]، كان عظين القوى روى عن أبيه[2]، ويروي عنه عدد من رواة الحديث[3]، ويعد أحد اقطاب البيت العلوي في زمانه وكما مر سابقاً فان السلطة الاموية كانت تفرض لاقامة الجزية على العديد ممن تتخوف من مواقف معارضة يمكن ان يبدر منهم ؛ لذلك جيء بابي هاشم إلى دمشق ايام خلافة الوليد بن عبد الملك، وصادف ان ارسل علي بن عبدالله بن عباس ولده محمد إلى باب الوليد في دمشق لطلب العلم فالتقى بابي هاشم فتتلمذ عليه وبقي بخدمته ترفقه صلة الرحمن والقرابة بينهما، حتى جاء الوقت الذي طلب به الوليد من أبي هاشم مغادرة دمشق ، وقد غادرها بصحبة محمد بن علي وستة من اصحابه إلى الحميمة مع محمد بن علي حيث داره هناك، حيث ترك مولى له وهو مسلمة بن الجبير في دمشق لقضاء بعض شؤونه وطلب منه ان يلحق به، فقال: " **اتبع اثرنا فاني اخذ على البلقاء مع ابن عمي محمد بن علي ولن ابرح منزله حتى تلتحق واحسب القضاء سيحول دون ذلك**" ، وكان قد اعتل واشتد به الوجع فأوصى أصحابه ان يسمعوا ويطيعوا لمحمد بن علي ومسلمة الصحيفة التي كانت تحوي

---

[1] الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومامون الصناعرجي، مؤسسة الرسالة، 129/4.

[2] ابن قتيبة ، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم (276هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، 217.

[3] العكيدي، د. علي فرعون، محمد بن الحنفية ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، دار الشؤون الثقافية العامة سلسلة رسائل جامعية، بغداد، 2007، 47.

اسماء اصحاب أبي هاشم، ويقال ان هذه الصحيفة هي الصحيفة الصفراء تحوي علوم ومعارف عديدة ورثها عن والده محمد بن الحنفية.

ربما كان في هذه الصحيفة اسماء من كان ياتي بالحقوق الشرعية لمحمد بن الحنفية لتنفق على مستحقيها عن طريقه، وبعد ان اوصى لمحمد بن علي فارق الحياة سنة 98هـ، وهو التاريخ الذي ابتدأ به نشاط التنظيم العباسي بزعامة محمد بن علي ورعاية والده علي بن عبدالله العباسي.

-محمد بن علي العباسي:

بعد وفاة ابا هاشم ابتدأ محمد بن علي نشاطه السياسي، والتف حوله عدد من الاتباع الجدد، وطلب منهم العمل بسرية تامة، وقد التحق به مسلمة بن الجبير صاحب ابا هاشم، وتعاهد على التعاون معه، وكان لسلمة عدد من الاصحاب والاصدقاء في الكوفة يثق بهم وكان قد اخذ موافقتهم بالانتماء للتنظيم السري وقد اعطى اسماءهم لمحمد بن علي وطلب منه تثبيتها بديوانه الخاص، وكان عددهم تسعة نفر ومن بين هذه الاسماء بكير بن ماهان وابا سلمة الخلال وزياد بن درهم.

وأخذت البيعة من الاتباع الجدد بشعار: (الرضا من آل محمد)، وعدم الاعلان عن اسم الامام العباسي، اتبع هذا الاجراء لأسباب عدة منها:

1-الحرص على حياة الامام العباسي لأنه في حال التعرف عليه فان التنظيم سينهار.

2-ابقاء اسم الامام العباسي دجون اعلان كان فيه منافع منها ان المتعافين مع العلويين من انصارهم ومحبيهم يتوقعون ان الامام علوي لأن الشعار المرفوع هو الرضا من آل محمد، وبذلك سيكون اندفاعهم واخلاصهم للتنظيم اكثر.

مارس الدعاة الاوائل دورهم بشكل سري للغاية وبتنظيم عالي الدقة وكانت ساحة دعايتهم تقتصر على الكوفة فقط، وربما سبب ذلك يعود إلى ان اهل الكوفة هم الاكثر ولاءاً للعلويين والاكثر عداءاً للخلافة الاموية، واقتصرت الدعوة فيها على

الثقات الذين يمكن الاعتماد عليهم الا ان التنظيم خلال المدة 98-199هـ لم يتجاوز عدد المنظمين الثلاثين فرداً.

كان عدم حدوث تقدم بالتنظيم سبباً في عقد اجتماع لمناقشة البطء الموجود في تقدم سير التنظيم، وقد اتضح ان الكوفة ليس المكان المناسب لنشر الدعوة السرية فيها بسبب قوة تركيز الدولة الاموية على العراق من جهة كذلك قربها من دمشق عاصمة الدولة الاموية ؛ لذلك فلابد من اختيار مكان بديل لممارسة الدعوة، وكان من جهة المقترحات ان تكون دمشق ساحة لنشر التنظيم، الا ان بكير بن ماهان اكد على منطقة خراسان.

توفي سنة 101هـ مسيرة النبال الذي كان حلقة وصل بين الدعاة والامام أحمد بن علي فارسلوا الدعاة بكير بن ماهان وقد حمل مبلغ 190 دينار جمعه الدعاة، ثن ليرى قول الامام بخراسان كمكان بديل عن الكوفة لنشر الدعوة، وصادف ان توفي اخ لبكير بن ماهان في بلاد السند ولم يكن له وريث وقد خلف ثروة كبيرة، فوافق الامام العباسي محمد على مقترح بكير بن ماهان وسمح له بالذهاب إلى السند وتفحص امور المنطقة اثناء طريقه للتعرف عليها اكثر، ففعل بكير بن ماهان راجعاً بالتعليمات إلى الدعاة في الكوفة، ثم شد رحال سفره باتجاه خراسان وجاب مدن عدة كجرمان ومرو ونجح بكسب اعضاء جدد من القبائل العربية القاطنة هناك لعل اهمهم هو: سليمان بن كثير الخزاعي، الذي بدوره هو الآخر من خلال تأثيره بأبناء قبيلته والمنطقة الساكن فيها تمكن من كسب وتنظيم مجموعة من العرب والموالي، وهكذا ابتدأ التنظيم بالازدياد واتسعت قاعدته في خراسان ومناطقه.

كانت المعلومات التي تتحدث عن الدعوة العباسية في بدايتها الاولى قليلة جداً وسبب ذلك يعود إلى السرية التي عمل بها المنتمين إلى التنظيم، لهذا فأن عدد من المهتمين بتاريخ الدعوة اعتقد بأنها بدأت في خراسان واهمل المدة السابقة لها حيث كانت لدعوة تمارس في مدينة الكوفة ثم انصب الاهتمام فيما بعد نحو اقليم خراسان ومناطقه.

وبعد عودة بكير بن ماهان ونقل نجاحاته في تلك الرحلة الاستكشافية قرروا نقل ساحة التنظيم إلى اقليم خراسان، وان تبقى الحميمة المقر الرئيس للتنظيم، ولابد من تبين الاسباب التي ادت إلى التركيز على هاتين المنطقتين، فأما الحميمة واختيارها مقراً للتنظيم فيعود إلى:

1- قربها من العاصمة دمشق يعني عدم توقع السلطات الاموية بوجود تنظيم معارض لسلطتهم بالقرب من مقرهم الرئيس.
2- وجود املاك واقطاع محمد بن علي العباسي في هذه المنطقة فهي مقرهم الرئيس الذي يمكنهم من خلاله إدارة التنظيم مع الافادة الاقتصادية التي تجنى من ذلك الاقطاع.
3- يمكن للنقباء الحضور اليها بعد موسم الحج لمناقشة الامور المهمة دون شكوك .

أما فيما يتعلق بأسباب اختيار خراسان كساحة للدعاية العباسية فيعود إلى العوامل الاتية:

1- بعدها عن العاصمة الاموية دمشق وكلما ابتعدت المنطقة كانت فيها السلطة اضعف.
2- وجود الكثير من العرب.